متى سيحارب الشرع الإسلاميين؟

نظرة سريعة في سياسة النظام السوري الحالي وتقلباته

حمزة حسن

ضمن سلسلة مقالات الحالة السورية

مقالة رقم (1)

متى سيحارب الشرع الإسلاميين؟

نظرة سريعة في سياسة النظام السوري الحالي وتقلباته

حمزة حسن

ضمن سلسلة مقالات الحالة السورية

مقالة رقم (1)

نشرت بتاريخ

22 أبريل 2024

بحكم دراستي وعملي يحدث دائما أن التقى بسفراء ودبلوماسيين وشخصيات أمنية وعسكرية في الكثير من الأوقات , وعندما قامت معارك الثورة السورية الأخيرة كنت في جلسة حوارية جانبية مع أحد الشخصيات الأمنية التي عملت في العديد من الدول العربية بالإضافة الى عمله الأساسي في الولايات المتحدة الأمريكية , حينها كنت فرحا بما يحدث على الرغم من أنني لا أكن الحب للجولاني (أحمد الشرع) ولي عليه ملاحظات شديدة لكني كنت فرح بما حدث كعادة أي مسلم عربي حر.

قال لي حينها يا ولدي خذها مني هذا الذي أنت فرح به هو عميل درجة أولى وأخذ يتكلم بكبرياء حول عمالته وأنني مجرد متعاطف فرح جاهل بالواقع ومحسن الظن بزيادة, وبالطبع طبيعة الحوار لا تسمح لي بالدخول في نقاش أعمق من ذلك معه ففي نهاية الأمر أنت لا تعرف مع من تتحدث حتى لو كنت تعرف عمله المعلن.

لكني لم أنس ما قاله لي هذا اليوم ولم أتنكر لهذا الكلام لكني وضعته في خانة الإسرائيليات - حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج - لكن هذا الكلام عندي محل شك ولذا لا يُصدق ولا يكُذب

الذي جعلني أكتب السطور السابقة هو ما بدأ يتبين منذ شهر يناير من العام الجاري - 2025 - وحتى اليوم, من تنازلات عجيبة وغريبة من النظام السوري الحالي وظهور شخصيات مثيرة للريبة في أروقة النظام الحالي وعلى رأسهم ماهر الشرع وآخر ما حدث هو طريقة حول الشيباني على تأشيرة محدودة لنيويورك مقابل الإجابة عن بعض الأسئلة الأمريكية والتي تخص بعض الأمور الداخلية السورية وعلاقة النظام الحالي بالمهاجرين وإسرائيل وغيرها.

انقلابٌ على الدين أم تجارةٌ به؟

النظامُ السوري الحالي، بعد ما يقاربُ 111 يومٍ من حكمه، قام بالعديد من الأمور التي تُعَدُّ انقلابًا على التاريخ الإسلامي للحركة الأم التي قادت الحراكَ منذ بدايته حتى نهايته. لكنَّ هذا الانقلابَ يحدثُ الآن على النسخة الأخيرة من الحركة، بعدما مرَّت بمراحلَ متعددةٍ من التنازلات؛ بدءًا من فَكِّ الارتباط وقتلِ القادة الموالين للتنظيم الأم، أو الوشايةِ بهم والسيرِ في جنازاتهم والبكاءِ عليهم، مرورًا بقتلِ مَن دعموا فَكَّ الارتباط عبر طائرات التحالف المسيّرة - والتي لا يخفى على متتبّعٍ للوضع السوري أن يعلمَ أن هناك قائمةً بأسماء مَن كان عليهم الدورُ في التصفية، وكانت طريقتُهم للنجاة هي العودةَ إلى صفوف الهيئة مطيعينَ خانعين، وهذا ما حدث مع البعض، بينما رفضَ البعضُ هذه الطريقة، وكانت قائمةُ الأسماء معروفةً مشهورةً في إدلب المحررة وقتَها.

الكلامُ حولَ ما يقوم به الرئيسُ السوري الحالي من إظهارٍ لزوجته على الملأ، مع أمرِها بتغيير طريقة ملابسها لتكون مناسبةً للوضع الحالي كزوجةٍ وحيدةٍ - لا نعلم مصيرَ الأخريات - لرئيس النظام السوري، والذي جعلَ أكبرَ مؤيدي الجولاني من مشايخ الحركة الجهادية - أبو قتادة - يكتبُ منشورًا ويحذفُه بعد دقائقَ حول التنازلات المرفوضة وغيرها. ومع ذلك، يمكنُ تخطّي مثل هذه الأمور، لكنَّ الشيءَ الذي لا يمكن تخطّيه هو ماهرُ الشرع.

ماهر الشرع - الذراع الروسي

كان من المثير للاستغراب ظهور شخصية مثل الدكتور ماهر الشرع (جرت العادة أيام النظام السوري البائد أن يُسمي الآباء أبناءَهم باسم 'ماهر' تيمناً بماهر الأسد)، الأخ الشقيق للرئيس الحالي، الذي عمل وزيراً للصحة في المرحلة الأولى، ثم انتقل بعد التعديل الوزاري الأخير ليصبح أميناً عاماً للرئاسة في سوريا.

ماهر الشرع، المتزوج من مواطنة روسية تُدعى تاتيانا زاكيروفا (الحاصلة على الجنسية السورية)، تظهر الصور العائلية غياب أي مظهر من مظاهر التدين التي يتميز بها أخوه، في مفارقة غريبة قد تمر مرور الكرام لو لم يكن لماهر الشرع دورٌ في سوريا بعد الثورة. لكنها مفارقة لا يمكن تجاهلها طالما أنه يشغل مناصب بالغة الأهمية في النظام الجديد.

عاش الرجل معظم حياته في روسيا حتى غادرها عام 2022 أو العام التالي، بينما كان أخوه يقود أهم حركة جهادية مصنفة كـ"إرهابية" وفق التصنيفين العالمي والروسي آنذاك! ومع ذلك، يتنقل ماهر بحرية بين الدول، حتى استقر أخيراً في تركيا التي لم يغادرها منذ عودته الأخيرة. هذه الحركة غير المألوفة تتعارض تماماً مع وضع عائلة شخص مطلوب دولياً، وقائد لأبرز حركة مسلحة في الساحة السورية، بينما نجد أن عائلات المطاردين العاديين لا تتمتع بهذه المرونة في التنقل بين دول مثل روسيا أو الدول العربية ذات الأنظمة الأمنية المشددة.

لن أطيل الحديث عن ماهر الشرع المثير للجدل، وسلطته الداخلية الكبيرة في سوريا (التي يتحدث عنها الكثير من التجار و المستوردين السوريين)، لكني أرى أن مراقبة دوره في المرحلة المقبلة أمر بالغ الأهمية.

كما لا ينبغي إغفال دور جمال الشرع في المشهد القادم أيضاً."

الانقلاب على الثورة:

تَلَى هذا الانقلابَ على مبادئ الحركة الأخيرة، انقلابٌ أكبرُ على الثورة نفسها؛ بإعادة معظم قيادات النظام البائد إلى دوائر الحكم، وعدم الاستعانة بأي من الكوادر القديمة المنشقة، بل وتسوية أوضاع آلاف مجرمي النظام السابق - أولئك الذين ارتكبوا فظائعَ بحق الشعب السوري. لقد وصل الأمر إلى حدٍّ بات معه الثوارُ أنفسهم يبحثون عن تواصلٍ مع فادي صقر - أحد كبار زبانية نظام الأسد، والمسؤول عن مجزرة التضامن التي تم تصويرها وبثّها عالمياً - ليس كي يُحاسَب، بل ليتوسط لهم في إخراج ذويهم من السجون!

تُشير الأرقام إلى أن أكثر من 60% من ضباط النظام السابق قد أجرَوا "تسوياتٍ" مع النظام الحالي، تضمن لهم الحركةَ بحريةٍ وأمانٍ. وفي المقابل - وبشكل غير معلن - يتم رفضُ أي دعاوى يقدمها الشعب السوري ضد مجرمي النظام السابق تحت حججٍ متغيرة، كان آخرها مطالبة مقدمي الشكاوى بتقديم "دليل قتلٍ" ضد أحد كبار سجّاني صيدنايا!

تنويم مغناطيسي

لا يخفى على أحد أن كثيراً من كوادر وجنود الهيئة القدامى يرفضون بشدة ما يحدث منذ تولي الشرع الرئاسة، وإصداره تلك القرارات المثيرة للجدل، التي تخالف المنهج الذي من أجله انخرط هؤلاء الجنود في صفوف هذه الجماعة دون سواها.

بدأت ملامح الرفض تظهر بعد قرارات وزير العدل السابق شادي الويسي أثناء توليه الوزارة، حيث أصدر قراراتٍ بالإبقاء على قضاة النظام السابق وإعادتهم إلى العمل، إلى جانب إجراءات أخرى مستفزة تمسُّ أهم مبدأ عند الحركات الجهادية: **الحاكمية وتطبيق الشريعة**. حينها، عقد كثير من كوادر الهيئة اجتماعاتٍ مع قياداتهم، محذرين من أن الويسي بهذه السياسة "**يقود الحركة إلى الكفر**" – وقد انتشرت هذه الجلسات في مختلف المناطق، وخاصة في إدلب.

ثم جاء الإعلان الدستوري ليفاقم الأزمة، حيث رفضه الجميع – علمانيون وإسلاميون على حد سواء – إذ لم يقدم أي جديد مقارنة بالدساتير العربية الجاهزة التي تعج بها دول المنطقة. هذا الأمر زاد من حدّة السخط في صفوف الهيئة، بينما اقتصر رد القيادات على كوادرهم الغاضبين على تفسيرات فضفاضة عن "المناورة" و"الخروج من عنق الزجاجة"، وزعمهم أنهم يواجهون مؤامرة عالمية تستهدف المكون السني.

هذه التبريرات – التي أتقنها شرعيو الهيئة لسنوات – تعتمد على كلام ملتوٍ يحتمل تأويلات متضاربة: فالمؤيد يتشبث بالمعنى الأفضل، بينما يرى المعارض فيه دليلاً على التنازل. والحقيقة أن هذه الخطاب لا يعترف بـ"المنطقة الرمادية"؛ إما بياضٌ يقُبل، أو سوادٌ يُرفض.

الشارع السوري بين صخبٍ وحزن وسكر

يَظهر جليًّا عبر منصات التواصل الاجتماعي أن الشعب السوري حالياً يعيش ثلاث حالات مختلفة تعكس واقعاً مشوشاً ومعقداً بعد مرحلة حساسة من تاريخه.

أولاً: فرحة مؤيدي النظام السابق

مؤيدو النظام السابق هم اليوم أكثر الناس فرحاً، بعد عودة رجالات النظام إلى أماكنهم، وسلامة من قاتل منهم وقتل من الشعب السوري، وحرية تنقله، بل وعودة قضاة النظام إلى مناصبهم. يشعر هؤلاء وكأن شيئاً لم يكن، وكأن ما حدث خلال السنوات الماضية مجرد سحابة صيف عابرة.

ثانياً: سخط الشارع الثوري

على الجانب الآخر، يعيش الشارع الثوري حالة من السخط المكتوم. منذ سقوط بشار الأسد، تتصاعد الأسئلة في نفوسهم: هل ما يحدث اليوم هو انتكاسة أم تمهيدٌ لمحاسبة مرتقبة؟ يحاول هذا الشارع إقناع نفسه بأن ما يجري هو خطوة في طريق استعادة الحقوق، رغم أن الوقائع توحي بغير ذلك. إنه الانتظار الذي يختلط فيه الأمل بالخذلان.

ثالثاً: حالة السكر العام

الحالة الثالثة هي الأغرب، ويمكن تسميتها بـ"السكر العام". انتابت هذه الحالة بعض الشباب والفتيات، خصوصاً من الفئة العمرية بين 18 و40 عاماً. من تعليقاتهم المنتشرة عبر وسائل التواصل، يظهر أنهم يرون الخطأ لكنهم يعتبرونه صواباً. هناك تناقضات صارخة في التعبير عن آرائهم، وكأنهم يتجرعون كأس النشوة بعد سقوط النظام، دون إدراك حقيقي لما يريدون أو إلى أين هم ذاهبون.

يبدو للمتابع أنهم ببساطة أعجبوا بشخصية الرجل الذي أسقط النظام، دون اكتراث لهويته أو طريقة حكمه. يرونه المخلّص الذي يفعل ما يشاء، وسيجد من يُبرر له مهما فعل.

وفي الختام، لا يسعني إلا أن أتساءل: متى سيحارب الشرعُ الإسلاميين؟